الإعـلام والأسـرة

صورة الحجاب فى الصحافة الإلكترونية العربية

تبرز المرأة المسلمة فى الإعلام الغربى كأداة توظف فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد ساعد فى ذلك اجتماع كل من مصالح الآلة الإعلامية الضخمة التى يسيرها النفوذ الصهيونى، مع أهداف الحركات والمنظمات النسائية الغربية فى تقديم صورة نمطية مشوهة للمرأة المسلمة، وتشترك كثير من وسائل الإعلام الغربية فى عرض صورة نمطية مكررة للمرأة المسلمة، وأساس طرحهم الذى لا تكاد تخلو منه مقالة أو تحقيق، أن المرأة فى عالمنا الإسلامى ممتهنة ومهضومة الحقوق ومسلوبة الحرية، وذلك كله راجع إلى ازدواجية المعايير التى يتعامل بها الإعلام الغربى على نطاق واسع، فى تعامله مع قضايا المسلمين بصفة عامة، وفى شأن المرأة المسلمة على وجه الخصوص، والسؤال الذى يطرح نفسه: لماذا تستطيع الراهبة أن تغطى من رأسها إلى قدميها، وتكون فى نظرهم محترمة، فهى تمتثل لأوامر ربها، ولكن عندما تفعل ذلك المسلمة تعتبر ممتهنة ؟ وعندما تجلس المرأة الغربية فى بيتها للعناية بالبيت والأطفال، فهى فى نظرهم تقدم تضحية جميلة وجليلة فى سبيل محافظتها على شئون منزلها، ولكن عندما تفعل المرأة المسلمة ذلك فهى فى حاجة إلى أن تُحرر؟[1].

وتأسيسًا على ذلك فإن هناك تحديات كثيرة تواجه الإعلام العربى والإسلامى لتصحيح الصورة المشوهة عن المرأة العربية والمسلمة فى الإعلام الغربى، ولن يتحقق ذلك إلا إذا أقامت أجهزة الإعلام العربى بإعادة النظر فى الإستراتيجية التى لا تزال تتبعها فى تقديم صورة المرأة العربية إلى العالم الذى تحول إلى قرية كونية صغيرة، كما يقتضى ذلك الوعى بالشروط المتغيرة للعصر من ناحية والأوضاع الجديدة التى ترتبت على أحداث الحادى عشر من سبتمبر من ناحية موازية، إن الحاجة ماسة إلى خرائط عقلية جديدة تعى متغيرات العالم وإلى وعى جديد يبرز الصورة الإيجابية للمرأة العربية الجديدة [2].

ولقد تعددت القضايا المتعلقة بالمرأة العربية والمسلمة على صفحات الصحف الإلكترونية ومن هذه القضايا، قضايا الحقوق السياسية للمرأة، وخروج المرأة للعمل، وختان الإناث وسفر المرأة بدون محرم سواء أكان ذلك للعمل أو للدراسة وغير ذلك من القضايا، ولكن القضية الأبرز والأهم والتى استحوذت على اهتمام الصحف الإلكترونية هى قضية الحجاب وما يتعرض له من انتقادات وهجوم سواء أكان ذلك داخل البلاد العربية أم فى خارجها، ففى مصر تحولت تصريحات وزير الثقافة المصرى الأسبق «فاروق حسنى» حول الحجاب إلى أزمة كبرى، وكان الوزير قد أكد فى حوار صحفى أن حجاب المرأة يمثل عودة للوراء وأن النساء بشعرهن الجميل كالورود التى لا يجب تغطيتها وحجبها عن الناس، وازدادت الأزمة اشتعالًا بتمسك الوزير بكلامه وآرائه، وقوله: إن ما صرح به بشأن الحجاب هو رأى شخصى وليس رسميًّا على الإطلاق، وأن ذلك يدخل فى نطاق الحرية الشخصية وتوالت الردود على تصريحات الوزير.

وترد «آمنة نصير» على تصريحات الوزير بقولها إن: شعر المرأة تاج على رأسها ويجب أن تحافظ عليه بالحشمة، والحجاب فرض، وليس قيمة المرأة فى شعرها ولكن لدورها ومكانتها ومشاركتها فى بناء المجتمع والتنمية، فالحجاب ليس أمرًا يظهر فى زمن أو يناسب زمنًا ولا يناسب زمنًا آخر، ولكن هو فرض دائم وقائم إلى يوم القيامة، وهى أوامر إلهية غير قابلة للرفض أو الرد، والمرأة نفسها مطالبة بالالتزام بشرع الله، وبالزى الإسلامى كما فى الكتاب والسنة، ولذلك فتصريحات الوزير غير مقبولة وتجلب الفتنة، وأن الوزير قد أحرج الوزارة والحكومة بقوله بهذه الأقاويل، التى لم يفكر فيها حتى قبل أن ينطق بها، وتتساءل: لماذا هذا الهجوم على الحجاب والنقاب وكل ما هو إسلامى! ألم يعد هناك قضية يتداولها أهل الفكر والسياسة غير قضية الحجاب؟ وهل أصبح الحجاب هو القضية التى تعطل الاقتصاد والتنمية وتشغل الشرق الأوسط؟ ولمصلحة من هذا الهجوم على الحجاب، خاصة أن هذا الهجوم يتواكب مع هجوم غربى على الحجاب فى إطار صراع الحضارات والهجوم على الإسلام، ولذلك لا بد للتصدى لهذا الهجوم وليس ترويج نفس الفكر، الذى يستهدف الإسلام، وليس شأننا أن تثار القضية بشكل سياسى، فنحن نتحدث عن أصول إسلامية، بل هى فروض،

فالحجاب فرض، وذلك وفق نصوص قرآنية لا يجب الاجتهاد فيها، وأى اختلاف بين العلماء هو فى الشكل وليس الجوهر، والخلاف يتحدث عن النقاب وليس الحجاب، فهو أمر لا يدخل فى نطاق الحرية الشخصية ولذلك لا بد من تراجع الوزير عن هذا الرأى وأن يترك مثل هذا للمتخصصين، فالحديث فى مثل هذه القضايا لا يجوز لغير المتخصصين[٣].

وأما «يحيى هاشم حسن فرغل»[٤] فيتناول رأى وزير الثقافة فى الحجاب بالرد والتفنيد، ويقول: عندما نتحدث عن الشريعة الإسلامية، يجب أن ندرك أن هناك فرقًا جوهريًّا بين مفهوم التدرج الذى يمكن استخدامه فى وصف مراحل التشريع المنزل، كما كان الحال فى تحريم الخمر مثلًا، وبين مفهوم التطور الذى يستخدمه بعض من يكيدون للإسلام وشريعته لإزالتها، ففى المفهوم الأول يكون الأمر أشبه بدرج البناء الذى يُستخدم للوصول إلى نهايته المقررة سلفًا دون تغيير فى حقيقة البناء أو ثباته، ولكن تأكيدًا له، أما مفهوم التطور والتطوير فهو مفهوم لا يعترف بأن فى داخل الحقيقة ثباتًا غير قانون التغيير المستمر من الأدنى إلى الأرقى. ومن جحر التفسير التطويرى للشريعة الإسلامية تطل رءوس الأفاعى السامة بين وقت وآخر، وكان من أخرها فحيح أفعى لا خطر لما تنفثه شخصيًّا ولكن الخطر من أثر تنظيمى على مستوى الدولة والمجتمع، وذلك حيث اعتبر وزير الثقافة المصرى «فاروق حسنى» أن ارتداء المرأة المصرية الحجاب عودة إلى الوراء، وينتهى إلى أن الهجوم الراهن على الإسلام ليس إلا حلقة صغيرة من سلسلة طويلة متوافقة من تهجم المبشرين والمستشرقين على ذاتية الإسلام لها سوابقها وتوابعها وروافدها من أسلحة الطغاة، واختيارهم قضايا المرأة ذريعة لهذا الهجوم.

بينما يتهكم «حسن صبرا»[٥] من اهتمام المسلمين بالحجاب، ويتساءل: هل تخلص المسلمون من كل مشكلاتهم وقضوا على كل مظاهر تأخرهم حتى ينشغلوا بمسألة الحجاب ؟ ثم قدم تفسيرًا غريبًا للآيات القرآنية التى تلزم المرأة المسلمة بارتداء الحجاب، منتهيًا إلى نتيجة أغرب وهى: أن الحجاب أو الزى الذى فرضه القرآن على المسلمات كان لعلة ولسبب وقد زالت العلة وغاب السبب، ومن ثم فلا ضرورة للحجاب ثم تهجم أيضًا على الذين يربطون بين ارتداء المرأة لزيها وحجابها وبين إيمانها والتزامها وقال: إن هؤلاء يعكسون رداءة وتخلف هذا الزمان الذى نعيش فيه.

ويتساءل «يحيى هاشم حسن فرغل»[٦] قائلًا: ترى هل يجرؤ معالى «المصور» الفنان «فاروق حسنى» أن يرسم لوحة للعذراء البتول عارية الرأس يتهدل شعرها فوق جبينها كالوردة وفقًا لوصف معالى الوزير ؟ أغلب الظن أنه لن يفعل وأنه لا يجرؤ أن يفعل لو أنه أراد !!.

وينتهى إلى أن الحجاب ليس بحد ذاته هو ما أزعج الوزير أو مجموعة من اغتصبوا لأنفسهم وصف المثقفين ممن أعلنوا بيانهم وتأييدهم له، إنما هى الهوية الإسلامية التى أزعجتهم، كما أزعجت دعاة تقويم الأذان فى المساجد، وإلغاء خانة الديانة من البطاقة، وإلغاء التفرقة فى الوجوه والأزياء بين الرجال والنساء، كما أزعجت من قبل «أتاتورك»، ومن بعد «جاك سترو» و«جاك شيراك»، وجماهير الغرب فى بلادهم فى هولندا وأستراليا وألمانيا والدنمارك والنرويج ومختلف أنحاء أوربا، والمطلوب منا نحن المسلمين: أن ننتبه إلى أعماق هذه المعركة حول قدس الذاتية، فلا نستغرب، فيما حولها من المناوشات الجانبية، وإنما ندرك أن معركة الحجاب هى استهداف لدرع مهم من دروع الذاتية الإسلامية، وهى من ثم ما زالت المعركة الإسلامية الرئيسة، كما كانت منذ بداية القرن، إنها معركة حول حصن الذاتية أو حول الإعلان عنها، ولم تكن الحملة على حجاب المرأة المسلمة قاصرًا على دولة عربية أو إسلامية دون الأخرى، خاصة من قبل التيار التغريبى، وإن كان هناك بعض الدول تميزت بشدة الحملة من جهة هذا التيار ـ كمصر وتونس ـ على الحجاب الإسلامى، ففى دراسة «لزنيفى باريل»[٧]، تناولت عرضًا لأزمة الحجاب فى تونس وأشارت إلى أن بعض الصحف العربية نشرت بيانًا مقتضبًا يعلن قرار تونس سحب سفيرها من قطر، أما السبب الذى جعل تونس تُقدم على هذه الخطوة فهو يتمثل فى قيام قناة الجزيرة الفضائية التى تسيطر عليها عائلة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثان، ببث برنامج يسلط الأضواء على الحملة التى تشنها السلطات التونسية ضد الحجاب الإسلامى، وذلك بناء على أوامر صادرة عن الرئيس السابق «زين العابدين بن على».

وانتهت الدراسة إلى القول، بأن تقرير وزارة الخارجية الأمريكية لحقوق الإنسان يصور النظام التونسى الحاكم على أنه أبعد ما يكون عن نمط النظام السياسى الليبرالى، ومع كل ذلك فإن أمثال «تونى بلير» و«جاك شيراك» لا يخفون رضاهم عن نظام

«بن على»، إضافة إلى بعض الزعماء المحافظين مثل «جورج بوش»، هذا الرضا ينبع من شعور الغرب بأن حاكمًا مسلمًا يحارب الحجاب الإسلامى لا يمكن أن يكون «غير ليبرالى» و«معاديًا للغرب» رغم أنه يحول دون قيام معارضة سياسية حقيقية ويفرض رقابة خانقة على القنوات الإعلامية فى بلاده، لقد بلغت سعادة القادة الغربيين عندما أوضح بن على نفسه موقف نظامه من مسألة الحجاب عندما قال: «نحن نميز ما بين الزى الطائفى واللباس التونسى التقليدى الذى يرمز إلى الهوية الوطنية»، وقال: «إن التونسيين قد تفاجئوا اليوم بوصول بعض الظواهر الاجتماعية الغريبة عن الدين والهوية والتقاليد، إنها ظواهر لا علاقة لها بالإسلام».

ويهاجم «إسحاق الشيخ»[٨] الحجاب الإسلامى للمرأة إلى جانب بعض المسائل الأخرى كالنقاب واللحية وقال: إذا كانت اللحية الطويلة والثوب القصير هما رمزان لرجل الدين الملتزم، فإن الحجاب والنقاب هما أيضًا رمزان للمرأة المتدينة الملتزمة، وهكذا طيّفوا الإسلام ورموزه بخصوصية هندام المظهر فى مغالطة ماكرة استهدفت تبهيم وتعويم الجوهر بالمظهر، إن التباهى والتفاخر بتمايز مظهر الالتزام الدينى ليس بالضرورة تحقيقًا للجوهر المعنى أساسًا بالعبادة، وليس من طهر العبادة التلويح بأسلاموية الحجاب أو اللحية أو الثوب القصير !!.

ويصف الحملة فى عودة الحجاب إلى المدرسة والجامعة ضمن محاولات أنشطة الإسلام السياسى على الصعيد المحلى التونسى والعالمى، تهدف إلى ضرب المثال التونسى الرائد لجميع الدول العربية فى تطوير وتحرير التعليم من مخازى عبودية الاضطهاد والتخلف والارتفاع بحرية المرأة وتكريس حقوقها ومساواتها فى الحقوق والواجبات ضمن قانون الأحوال الشخصية !.

وكذلك الأمر، فإن الحملة على حجاب المرأة المسلمة لم تقف عند حدود المنطقة العربية بل تعدت إلى بعض البلدان الإسلامية كتركيا، والهجوم على الحجاب والدعوة إلى سفور المرأة المسلمة فى تركيا ليس وليد اليوم، بل خطة مرسومة من يوم أن قاد «مصطفى كمال أتاتورك» الانقلاب ضد الخلافة العثمانية وحول وجه تركيا إلى العلمانية، وفى ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ قاد رئيس الأركان التركى «كنعان إيفرين» انقلابًا عسكريًّا أطاح بالعملية الديمقراطية فى البلاد، ولم يكن هناك شك فى أن الانقلاب

الذى قادته المؤسسة العسكرية الحامية للنهج العلمانى ولا سيما بعد تعاظم قوة التيار الإسلامى بزعامة حزب (السلامة) الذى نظم مسيرة جماهيرية ضخمة ــ قبيل الانقلاب ـ نصرة للشعب الفلسطينى وأحرقت فيها أعلام إسرائيل والولايات المتحدة، وفى الشهر نفسه، خصصت إحدى المجلات المصرية صفحتين، تناولت فيهما الانقلاب العسكرى وأبعاده، ومما نشرته المجلة صورة لسفينة سياحية فخمة أعدها «أتاتورك» لتزور موانئ أوربا وعلى متنها مجموعات من النساء التركيات شبه العاريات كدليل مادى يقدمه النظام العلمانى التركى لأوربا على انسلاخه عن الإسلام.

ويرى «ناصر يحيى»[٩] أن «العسكر» و«التلاعب بالمرأة» هما المظهران الشهيران للعلمانية فى بلاد المسلمين، فالعسكر يفرضون العلمانية بالقوة، ويقلبون أوضاع المجتمعات الإسلامية رأسًا على عقب ويحكمونها بالحديد والنار، واستخدام المرأة وإجبارها، على سلوك طريقة لا تتناسب مع التعاليم الإسلامية وآداب القرآن الخاصة بالمرأة، ولا شك أن العلمانيين المعاديين للحجاب لم يكونوا يتخيلون أن عودة الحجاب وظهوره فى أوساط المتعلمات سيكون نهاية لمرحلة من التغريب، ويتوصل إلى أن الحجاب يحقق كل يوم انتصارًا جديدًا، وأبرز مظاهر انتصاره أنه تأسس على قناعات ذاتية بعيدًا عن التقليد الأعمى خضوعًا لضغط عائلى.

وإذا كان وضع الحجاب الإسلامى للمرأة فى بعض الدول العربية والإسلامية فى مأزق فإن الحال لا يختلف كثيرًا فى بعض الدول الأوربية، فلا تزال مسألة الحجاب الإسلامى تتحرك فى أوربا، حيث يدور جدل حول قانون يهدف إلى منع المسلمات من ارتدائه فى المدارس من خلال كونه تعبيرًا عن رمز دينى لا ينسجم مع الاتجاه العلمانى.

وفى دراسة «محمد حسين فضل الله»[١٠]، سجل مجموعة من الملاحظات المهمة حول الأسباب والمبررات التى دفعت بعض الأقطار أن تتخذ مواقف متشددة حيال ظاهرة ارتداء المرأة المسلمة للحجاب فى أوربا، وهذه الملاحظات جاءت على النحو التالى:

١ـ أن هذا الاتجاه السلبى ضد الحجاب يمثل نوعًا من أنواع الاضطهاد الإنسانى للمرأة المسلمة الملتزمة بالحجاب، وتقييدًا للحريات العامة والخاصة، فى الحق الذى يملكه الإنسان فى اختيار اللباس الذى يلبسه، ولا سيما إذا كانت بعض خصوصياته

تمثل التزامًا دينيًّا لا يملك المسلم فى التزامه الشرعى أن يتجاوزه، والحجاب فى الإسلام يمثل حكمًا شرعيًّا إلزاميًّا لا بد للمسلمة من التقيد به.

٢ـ إن إثارة مسألة الحجاب على أساس كونه تعبيرًا عن رمز دينى، فى الوقت الذى لا نجد مثل هذه الشدة فى إثارة الجدل بالنسبة إلى الرموز الدينية الأخرى، يوحى بأن هناك عقدة مستعصية لدى الغربيين ضد الإسلام فى التزامات المسلمات المقيمات فى أوربا، ولا سيما بعد انتشار الحساسية ضد الإسلام كنتيجة لإثارة التهمة بالاتجاه الإرهابى للدين الإسلامى وللمسلمين، الأمر الذى جعل المسلمات المعجبات يشعرن بالخوف والحرج من ارتداء الحجاب الذى يوحى بصفتهن الدينية الإسلامية، ما قد يعرضهن فى بعض البلدان أو المجتمعات للاعتداء المادى والمعنوى.

٣ـ أن الحديث عن اعتبار الحجاب ظاهرة مستوردة يدل على جهل بالشريعة الإسلامية والتاريخ؛ لأن الحجاب كان منذ الدعوة الإسلامية فى المدينة، حيث كانت المسلمات يؤكدن فى سلوكهن الشرعى الالتزام به منذ نزلت آية الحجاب، واستمرت المسيرة الإسلامية فى كل بلاد المسلمين على ذلك النهج، ثم ما معنى اعتباره حال طائفية، فى الوقت الذى يعرف الجميع بأنه حال إسلامية عامة، لم يستوردها المسلمون من الآخرين، وإذا كان بعض الشعوب غير الإسلامية يلتزمون به كتقليد من تقاليدها الشعبية أو الدينية، فليس ذلك منطلقًا من أصالتها فى السير عليه، ليكون الالتزام به شرعًا فرعًا منها.

٤ـ أن مسألة الحجاب ليست من مسائل مسئولية الدولة فى نظامها الاجتماعى، بل هى مسألة شخصية تتصل بحرية الإنسان فى ما يختاره فى لباسه، تمامًا كالحريات الخاصة، ومن الطريف أن بعض المسئولين فى هذه الدولة أو تلك يتحدث عن الاحتشام فى اللباس، ولكنه لا يمنع اللاتى لا يلتزمن به فى أكثر من موقع اجتماعى أو سياحى، ما يوحى بأن القضية ليست قضية توجيه قانونى اجتماعى للحفاظ على المسألة الأخلاقية، بل هى تقليد غربى مستورد من المفاهيم الغربية فى طريقة الحياة لإثبات حال التحرر من التقاليد الإسلامية، ليحصلوا على تأييد الغربيين لهم.

٥ـ إذا كانت الحيثية التى تختفى وراء قانون منع الحجاب فى المدارس هى الانطباع السيئ الذى تتركه المرأة المحجبة فى نفوس الطلاب، فإن ذلك لا يرتكز على أساس

نفسى؛ لأنه من الممكن أن يقول الملتزمون بأن نزع الحجاب قد يترك انطباعًا سلبيًّا فى نفوسهم، هذا، فضلًا عن أن هذه المسألة لا تقتصر على مقاعد الدراسة، بل تمتد إلى كل مواقع المجتمع المختلط الذى يمارس فيه الناس حرياتهم العامة التى قد تؤدى إلى اعتيادهم على هذا التنوع الذى يمثل مظهرًا حضاريًّا، تمامًا كما هى الأزياء المتنوعة للشعوب.

٦ـ أن منع الفتيات المحجبات من دخول المدارس والجامعات يتنافى مع قانون الحريات، ومع الديمُقراطية، ويحرم الكثير من الملتزمات من متابعة التقدم فى مراحل الدراسة إذا لم تكن لديهن الظروف الملائمة للدخول فى المدارس الإسلامية الخاصة، ما يمثل اضطهادًا تربويًّا بعيدًا من القيمة الإنسانية.

٧ـ أن التنوع الدينى فى حركة الحريات العامة فى المجتمع المتنوع يشمل حالًا حضارية تتنوع فى مواقعها وممارساتها، وتؤكد التعايش بين مختلف الحضارات، وتوحى بالتعارف الثقافى فى الانفتاح على الحوار بين الديانات فى ما قد تثيره التنوعات من التطلع إلى المعرفة لهذا الاتجاه الدينى أو ذلك، ما قد يدفع المجتمع إلى التعرف على ثقافة هذا الدين أو ذاك، ولعل من اللافت أن مسألة منع الحجاب لم تأخذ مسارها فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تؤكد على الحريات الخاصة احترامًا لإنسانية الملتزمين دينيًّا؛ لأنه ليست هناك عقدة تاريخية للشعب هناك ضد الإسلام، بينما قد يختزن الأوربيون هذه العقدة فى ثقافتهم، ما يجعل من تبعهم من المسئولين فى البلاد الإسلامية يتشبهون بهم للحصول على شهادات الغرب بأنهم حضاريون يأخذون بأسباب المدنية الغربية، فى الوقت الذى يمارسون اضطهاد الشعب فى حرياته السياسية وحقوقه المدنية.

٨ـ أننا نعتقد أن إطلاق حرية الحجاب الإسلامى ـ بستر جسدها وإظهار الوجه والكفين ـ لا يمنع المرأة من حركتها فى المجتمع، فى الوقت الذى تبرز المرأة المسلمة الملتزمة كإنسان يوحى بالجانب الإنسانى فى شخصيتها لا بالجانب الأنثوى المثير للغرائز، ولكنه لا يمنعها من ممارسة أنوثتها فى البيت الزوجى، أو فى المجتمع النسائى، حيث لا يخلق أى نوع من الإثارة.

٩ـ أن من اللافت أن يحتج قادة الاضطهاد للمرأة الملتزمة بأن حريتها فى دخول

المدارس والجامعات والمؤسسات الرسمية تتنافى مع النظام العلمانى وهى حجة غير دقيقة؛ لأن النظام العلمانى لا يقوم على طريقة الطلاب فى الالتزام الدينى، ولا سيما أن العلمانية لا تضطهد الحريات الدينية، بل تقتصر على عدم اعتباره قاعدة للحكم وللقانون فى الدولة، ثم أن مسألة الالتزام بالحجاب فى الممارسات العامة للناس أكثر خطورة فى الالتزام فى الجانب التربوى.

١٠ـ أن قوانين منع الحجاب للطالبات الملتزمات فى المدارس يمثل اضطهادًا عنصريًّا للناس لا يلتقى بالديمقراطية من قريب أو من بعيد، ويخلق حالًا سياسيًّا ضد النظام العلمانى لدى الناس.

وانتهى فى دراسته إلى أننا نريد للدول الأوربية التى قد تتحرك فيها هذه الدعوات السلبية ضد الحجاب أن تبتعد عن هذا النهج اللاإنسانى ضد المسلمات الملتزمات انطلاقًا من الإيمان بالحريات العامة التى ارتضاها الغرب لنظامه، إضافة إلى أن المسلمين أصبحوا يمثلون جالية كبرى كجزء من هذا المجتمع الأوربى أو ذاك، حتى يستغل الآخرون مثل هذا التعقيد لإيجاد بعض الحالات السلبية التى لا تنفع المجتمع فى أى شأن من شئونه، ودعا إلى حوار حضارى يتفهم فيه أصحاب الديانات المختلفة والحضارات المتنوعة وجهات النظر الثقافية للخلفيات الكامنة وراء هذا الالتزام أو ذاك، وفى نطاق هذه الشرعية أو تلك، فذلك هو الذى يحقق للمجتمع كله السلام الروحى والثقافى والاجتماعى.

ويأتى بيان المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث فى نفس السياق، فقد أصدر فتوى حول قضية الحجاب أوضح فيها وحدد مجموعة مهمة من النقاط تمثلت فيما يلى[١١]:

١ـ أن التعايش بالنسبة للمسلم يعتبر أصلًا فى بناء المجتمعات الإنسانية، ويقتضى الاعتراف بالتعددية والتنوع فى إطار الوحدة القومية والإنسانية، وإشاعة أجواء الحوار بين الثقافات والتعاون بين ومع الجماعات الدينية والعرقية المختلفة، والمحافظة على السلم الاجتماعى، ولطالما أكد المجلس فى كل بياناته على حث المسلمين فى أوربا على العيش المشترك والاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها دون فقدان هويتهم، والإسهام فى رقى وتقدم وأمن هذه المجتمعات، وذلك انطلاقًا من إيمانهم بالله تعالى

رب الجميع، وبأواصر الأخوة الإنسانية وما بينها من قواسم مشتركة رغم تنوعها الثقافى والحضارى.

٢ـ أن المبادئ السابقة للعيش المشترك لا يمكن أن تطبق إلا باحترام الحريات الشخصية للأفراد والجماعات والحفاظ على حقوق الإنسان، وقد كان للثورة الفرنسية دورًا بارزًا فى ترسيخ هذه المفاهيم، مما جعل فرنسا توصف بأنها «أم الحريات» ومن أهم البلاد التى يُحافظ فيها على حقوق الإنسان.

٣ـ أنه ليس هناك تعارض حقيقى بين مقتضيات التعددية والتنوع البشرى وبين مقتضيات الوحدة الوطنية التى لا يجوز أن تكون مبررًا لمصادرة الحريات الشخصية والدينية أو تهديد فرص المسلمين الفرنسيين أو غيرهم فى التعليم والتكسب وتهميش دورهم كمواطنين، وبالتالى الدفع بهم إلى مزيد من العزلة بدلًا من التلاحم مع إخوانهم المواطنين الفرنسيين، كما لا يجوز أن تكون العلمانية الليبرالية مبررًا لسن «قوانين صارمة» من شأنها الانقضاض على أهم حقوق الإنسان وحرياته وهما الحرية الشخصية والدينية، ولا يجوز كذلك أن تتخذ بعض التجاوزات فى سلوك بعض المسلمين أو غيرهم بما لا يتفق ومتطلبات العيش المشترك كمسوّغ لحرمان خمسة ملايين مسلم فى فرنسا من حقوقهم المشروعة، إن احترام التنوع والمحافظة على الحريات هو الأساس المتين والضمان الأكبر للوحدة الوطنية والأمن العالمى وخاصة فى الأمد البعيد.

٤ـ إن ارتداء الحجاب أمر تعبدى وواجب شرعى وليس مجرد رمز دينى أو سياسى، وهو أمر تعتبره المرأة المسلمة جزءًا مهمًّا من ممارستها المشروعة لتعاليم دينها، وأن هذا الالتزام أمر غير مرهون بأى مكان عام سواء أكان من أماكن العبادة أم كان من المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، فإن تعاليم الإسلام بطبيعتها لا تعرف التناقض والتجزؤ فى حياة المسلم الملتزم بدينه، وهو أمر أجمعت عليه كل المذاهب الإسلامية قديمًا وحديثًا، وأقرّه أهل التخصص من علماء المسلمين فى جميع أنحاء العالم، ويدخل فى ذلك موقف فضيلة شيخ الجامع الأزهر الذى صرّح بوضوح أن الحجاب الإسلامى فريضة شرعية وليس «رمزًا دينيًّا»، أما ما نسب إليه من حق فرنسا كدولة ذات سيادة فى سنّ ما تراه مناسبًا من قوانين وتشريعات فهو أمر وارد ومقبول

دوليًّا، ولكننا نحسب أنه كان من المفيد كذلك أن يضيف فضيلته أن هذا الحق مشروط كذلك بمواثيق حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية وميثاق الأمم المتحدة، فلا يتصوّر أن تكون سيادة أى دولة مبررًا لتشريعات تناقض حقوق الإنسان وحريته الشخصية والدينية، ولعل هذا التوضيح من فضيلته كان حريًّا بأن يمنع سوء تأويل موقفه الذى ظنّه البعض تخليًّا عن واجبه فى معاضدة إخوانه المسلمين أو غيرهم فى المطالبة بحقوقهم المشروعة وأداء واجباتهم الدينية، وبذلك يكون موقفه مطابقًا لما أجمع عليه علماء الأمة بشتى مذاهبنا فى القديم والحديث.

٥ـ أن إكراه المسلمة على خلع حجابها المعبّر عن ضميرها الدينى واختيارها الحرّ يعتبر من أشد أنواع الاضطهاد للمرأة بما يتفق مع القيم الفرنسية الداعية إلى احترام كرامة المرأة وحريتها الشخصية والإنسانية والدينية، وإن المجلس ليؤكد على أن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب يجب أن يكون مؤسسًا على القناعة الشخصية والفهم، وإلا فقد قيمته الدينية، وبالمثل فإنه لا يجوز إجبار المرأة المسلمة على خلع حجابها كثمن لتعليمها أو استفادتها المشروعة بمرافق الدولة.

٦ـ أن هذا القانون المقترح وإن بدا أنه يشمل كل «الرموز الدينية» فإنه فى المحصلة يستهدف تحديدًا الحجاب الإسلامى، مما يمثل تفرقة دينية ضد المسلمين، ويخالف كل الدساتير والأعراف فى ما يُسمى بالعالم الحر.

٧ـ أن المجلس ينصح المسلمين فى فرنسا فى مطالبتهم بحقوقهم المشروعة ومعارضتهم لمثل هذا القانون الظالم أن يلتزموا بالوسائل السلمية والقانونية قولًا وعملًا، فى إطار الديمقراطية وبالأسلوب الحضارى، وأن يثمّنوا إسهام إخوانهم وأخواتهم من المسلمين الذين أيّدوهم رغم اختلافهم معهم فى موضوع ارتداء الحجاب، وكذلك إخوانهم وأخواتهم من غير المسلمين الذين وقفوا معهم دفاعًا عن حريتهم الشخصية والدينية والإنسانية، وإن لم يشاركوهم فى اعتقادهم وممارساتهم الدينية، فإن قضية الحريات الأساسية لا تتجزأ.

٨ـ وفى نهاية البيان يدعو المجلس المسئولين فى فرنسا على شتى المستويات أن يعيدوا النظر فى هذا المشروع بما يتفق مع غايات الوحدة الوطنية والأمن الاجتماعى والتعاون والتلاحم بين شتى قطاعات المجتمع الفرنسى فى عصر حوار الحضارات لا صراعها.

الإعلام وضرب الأطفال

ضرب الأطفال وسوء عقابهم، ظاهرة واضحة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية، مع أن ديننا الحنيف يعلمنا ويرشدنا إلى وسائل عديدة أكثر تحضرًا وتماشيًا مع روح العصر والأساليب التربوية الحديثة لتربية أولادنا غير هذه الطريقة الفجة فى التربية والتوجيه ألا وهى الضرب والإهانة الجسدية، يؤكد ذلك ما توصلت أليه العديد من البحوث والدراسات العلمية.

كشفت دراسة للدكتور «عدلى السمرى» أستاذ الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى مصر أن ٩٦٪ من الآباء الذين يضربون أبناءهم تعرضوا للضرب وهم صغار.

وتوصلت الدراسة أن ضرب الآباء لأبنائهم وتعنيفهم المستمر لهم يربى عقد نفسية لدى الأبناء بل ويزيد من العنف الأسرى إلى أن يتفاقم ويمثل مشكلة من الصعب مواجهتها إذ تحول العنف من الأسرة إلى المجتمع وأصبح شكل من أشكال السلوكيات الشاذة وضحاياه مؤهلين نفسيًّا لممارسة الإرهاب النفسى على الأفراد مما يهدد أمن المجتمع.

ودعت الدراسة الآباء والأمهات إلى توخى الحذر فى تربية أبنائهم فكثرة الضرب يؤدى إلى نتائج يمكن الاستغناء عنها إذا استخدم كل من الأب والأم ما يسمى بالعقاب البديل والذى يتلخص فى حرمان الطفل مما يحبه بدلًا من الإيذاء البدنى الذى يؤدى إلى العديد من الأمراض النفسية.

وقد رصدت «عربيات» الدراسة واستعرضت الآراء حول ضرب الآباء للأبناء وتأثير ذلك على صحتهم النفسية وفى أى الحالات يكون الضرب وسيلة للتأديب بل وأى نوع من الضرب هو المقصود، ويمكن أن يؤتى بالنتائج المرجوة منه، وذلك من خلال معرفة آراء الآباء والأمهات والأبناء وعلماء الدين وعلماء الاجتماع والنفس.

تقول «نها السيد» طالبة بكلية حقوق القاهرة: الضرب ليس وسيلة سليمة للتربية فأنا أحب أن يتفاهم والدى معى بدلًا من أن يضربنى ويربى عندى الخوف منه والكره، فدائمًا أحب أن أسمعه وأنصت إليه وأفوز برضاه بدلًا من الهروب منه وتفادى لقائه خوفًا منه وأتمنى أن يبحث كل أب عن وسائل أخرى للعقاب بدلًا من الضرب.

أما «كريمة محمد» طالبة بمدرسة أم الأبطال الثانوية بنات السنة الثالثة فتقول: أبى وأمى يصران على معاقبتى بشدة وإهانتى بشتى الطرق حتى ولو تأخر ت خمسة دقائق عن ميعادى وليس لى إلا عمة تعد بالنسبة لى الصدر الحنون وألجأ إليها دائمًا واعتبرها عوضًا لى عن حنان أمى وأبى الذى افتقده بسبب شدتهم معى وضربى دائمًا وكم كنت أتمنى أن يتعاملا معى بصورة أكثر محبة وتفهم ولكنى عرفت فيما بعد من عمتى أن أبى كان يتعرض للضرب بشدة من جدى وأن شدة أمى ترجع إلى عقاب أبى الشديد لها الذى قد يصل لحد الضرب أحيانًا.. وأنا لا أحب الضرب؛ لأنه وسيلة مرفوضة وتترك آثارًا نفسية سيئة على الأبناء وأنا واحدة من هؤلاء الأبناء ونفسى لا أرث هذه الصفة من والدى حتى لا يتعرض أولادى لمثل ما أتعرض له.

ويؤكد «سعيد حنفى» طالب بكلية الآداب بالسنة النهائية قائلًا: أنا مثلى مثل الجميع لا أحب الإهانة وأعتقد أن الضرب يعتبر أسوأ أنواع الإهانة التى نتعرض لها من الآباء وكأنه انتهاك لحقوق آدميتنا، فالضرب إهدار للكرامة ولا حياة بعدها بل سيكون الضرب عذاب للنفس الإنسانية، فأنا أعترض، لأن والدى رحمة الله عليه كان يعتبر العصا أداة للتربية وقد أدركت وتعلمت أنها أداة لتربية نشء جبان وأداة فعالة لقمع النفس البشرية حيث تولد لدينا نوع من الانتقام وأنا لا أريد أن أكون بهذه الصورة لذلك لا للضرب وأدعو الآباء إلى التفاهم واتباع لغة الحوار مع أبنائهم وكما يقولون فى المثل الشعبى (إن كبر ابنك خويه) أى اجعله كأخيك أو صديقك.

وتقول «هدى عبد الفتاح» موظفة بأحد البنوك الاستثمارية وأم لثلاثة أطفال فى مراحل تعليمية مختلفة: تربية الأولاد مسئولية كبيرة وتحتاج إلى يقظة من الأب والأم وبالنسبة لى أنا أحب أن أربى أولادى بلا ضرب ولكن على التفاهم والتحاور والإقناع ويرون فى ذلك احترامًا لعقلهم واهتمامًا بهم بصورة عملية وقد تعلموا ذلك منذ

الصغر ولكن لا أخفى عليكم أن هناك تصرفات تغيظ وتشعل غيظى وتدفعنى لعقابهم بصورة غير إنسانية، ولكن الحمد لله أتدارك الأمر وأضطر للابتعاد عن مواجهتهم بتصرفاتهم المرفوضة حتى أعطى لنفسى فرصة للتفكير بأسلوب متحضر ولا ألوم زوجى عندما يفقد أعصابه فى التعامل معهم؛ لأن خوفه عليهم يجعله حريصًا كل الحرص على مصلحتهم ومتابعة كل شئونهم وعندما أحس بأنه فى طريقه لاستخدام الضرب أتدخل بسرعة وأحاول أن أؤجل حوارهم حتى يهدأ ويتفادى ضربهم وأحمد الله أن أولادى يسمعون الكلام ويأملون فى كسب ودى وود أبيهم وبالتالى فلا يتعرضون لأى نوع من التأديب والتهذيب، وصدقنى يكفى نظرة منى أو من زوجى لتأنيب أولادى على أى سلوك غير مسئول، وقد كانت أمى رحمة الله عليها دائمًا تقول: إن السلحفاة تربى أولادها بالنظرة وليس بالضرب أو الإهانة ويسمعون كلامها وينفذون تعليماتها بمجرد نظرة وأعتقد أن الإنسان أرقى مخلوقات الله، قد أعطانا العقل لتربية أولادنا دون إهانة أو ضرب.

وتقول «راوية فؤاد» ربة منزل ولها ولدان توأم وفتاة فى مقتبل العمر: «الحب أكبر معلم للأولاد فإذا تعلم الأبناء كيف يحافظون على المبادئ والقيم بالحب وبالحوار أعتقد أنهم لن يحتاجون إلى الضرب والتأنيب المستمر والذى يؤثر فى نفوسهم طول العمر».... وتضيف «أنا أربى أولادى بهذه الطريقة ولا ألجأ لضربهم أو أدفع زوجى لضربهم كما تفعل بعض الأمهات وأصعب عقاب فى نظرى أن أوبخهم بالكلام وكنت أضربهم ضربًا خفيفًا فى الصغر وأعاقبهم بعدم شراء ما يحبونه من حلوى ومن هنا تربى عندهم على ما أعتقد المحافظة على مشاعرى وتجنب غضبى بأى صورة ومحاولة كسب رضاى مهما كلفه الأمر حتى ولو حرمه ذلك من اللعب خوف إجلال لا خوف مكروه، وقد عاملنى أبى وأمى هكذا وأعتقد أننى بلا تخطيط أنفذ ما تربيت عليه وأعتقد أيضًا أنهم سينفذون بإذن الله نفس الطريقة مع أولادهم» .

أما «رشاد السيد» محامى ويعول أسرة مكونة من أربعة أفراد فيقول: «لقد تعلمنا فى القانون أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته لذلك أنا لا أعاقب أولادى حتى يتضح لى أنهم أخطئوا وهذا الخطأ يعيبنى فى المقام الأول لأننى لم أعلمهم كيف يتفادون هذا الخطأ». ويضيف.. «منذ الصغر كان أبى يضربنى عندما أفعل شيئًا خطأً؛ وخاصة

عندما كنت أخطئ فى قراءة القرآن؛ لذلك أنا أؤمن بأن الضرب هو وسيلة للتأديب والتهذيب للأطفال؛ لأن السياسية قد تساهم بصورة أو أخرى فى انحرافهم وإذا علمتهم شيئًا ولم يقوموا بفعله أترك لهم الفرصة لتصحيحه ثلاث مرات وبعدها لا بد من التدخل الحاسم وألقنهم عقابًا حتى يصلحوا ما أفسدوه أو يتعلموا جيدًا خطأهم.

أما «على طلبة» موظف بالهيئة العامة للبريد يقول: «لقد ربيت أبنائى على الاحترام والحب المتبادل بيننا ولا أعتقد أننى يومًا ضربت ولدًا أو بنتًا بل أحاول أن أوثق علاقتى بهم بالحب والصراحة الواضحة بيننا خاصة بعد وفاة والدتهم أصبحت بالنسبة لهم أبًا وأمًّا فإن شددت عليهم واتبعت أسلوب العقاب المبرح فلن يطيقونى وتتحول العلاقة بيننا لكره ويتمنون اليوم الذى يرحلون فيه بعيدًا عنى وعن حياتى، وإذا تراخيت معهم فسأندم على ذلك؛ لأنهم لن يجدوا من ينصحهم ويدفعهم للسلوك القويم، ولذلك أحاول والله المعين على ذلك أن أعتدل معهم فى تربيتى لهم بالحب ولغة الحوار والتفاهم وأحاول أن أنسى دائمًا أننى أبًا لهم بل أتصرف وكأننى صديقهم جميعًا وكاتم أسرارهم، وأعتقد أن هذا أفضل وسيلة لتربية الأبناء بدلًا من الضرب والإهانة والحمد لله فهم يدرسون فى كليات القمة؛ كلية الهندسة والطب والأخيرة فى الثانوية العامة؛ وليسوا معقدين أو محرومين من شىء تسبب لهم فى متاعب نفسية بل كان عقابى لهم دائما أن أحرمهم من الخروج والترفيه أو اللعب أو الذهاب لزيارة خالتهم التى يحبونها جدًّا، وأقصى عقوبة أن آخذ موقفًا من المخطئ منهم حتى يدرك خطأه ويعترف به ويعدنى بعدم تكراره أعطيه الفرصة فى ذلك ومن هنا على ما اعتقد أنهم ينصتون لنصيحتى لهم التى دائمًا كانت فى صورة تحفزهم على استذكار دروسهم، إضافة أننى لا أعاقبهم إلا إذ تكرر الخطأ أكثر من مرة، وهذا أمر مهم جدًّا يجب أن يتنبه له الآباء، فالضرب والإهانة ليس وسيلة للتأديب لأنه أحيانًا يُربى جيلًا معقدًا نفسيًّا ومشبعًا بالأمراض النفسية، وبالتالى غير صالح لأنفسهم ولا لأسرتهم ولا لمجتمعهم».

ويقول المهندس «فتح الله فؤاد» مهندس بوزارة الإسكان والتعمير: «أعتقد أنه بدون الضرب لما صلح الجيل فأنا أضرب أولادى وأعنفهم عندما يقومون بفعل تصرف مشين، خاصة إذا تم التنبيه عليهم من قَبلُ، وأيضًا أقوم بتأنيب ومعاقبة أمهم

إذا أخفت عنى بعض مشكلاتهم حتى لا يتعرضوا للضرب منى، ومن بين هذه التصرفات إساءتهم لوالدتهم بطريقة أو بأخرى فأذكر أن ابنى الصغير قام بالصراخ فى وجه أمه بطريقة غير لائقة فقمت وضربته بعصا حتى تورم بعض أجزاء من جسده، وعندما يفكر فى مثل هذا التصرف مرة أخرى ينظر إلى جسده فيتذكر ما حدث له فينصرف عن تكرار خطئه، وهكذا تعلمنا من والدنا كيفية الحفاظ على القيم واحترام بعضنا البعض وأحاول أن أعمل هذا فى تربية أولادى حتى يتربوا مثلما تربيت» .

ويعترف «مصطفى السيد» موظف بالهيئة العامة لنظافة وتجميل القاهرة: «أنا أضرب أولادى عندما يخطئون، لأن الخوف من العقاب يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل ارتكاب أى خطأ بالإضافة إلى أن الضرب جعلهم يخافونى ويعملون حسابى قبل فعل أى خطأ فلا أعرف رحمة عندما يتكرر الخطأ، لذلك فأولادى يتجنبون الخطأ وألحظ هذا فيهم جميعًا حتى لا يتعرضون للعقاب واعتقد أن أفضل وسيلة للتربية هى سياسة العقاب والثواب».

بعد أن استعرضنا اعترافات الآباء والأمهات والأبناء خاصة وأن كل واحد منهم يملك قناعته التامة فى استخدام أسلوبه الخاص فى التربية ذهبنا لعلماء النفس والاجتماع لنعرف آراءهم فى هذه الاعترافات والأسلوب الأمثل فى تربية الأجيال حيث قالت الدكتورة «عزة كريم» أستاذة علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس: «من أكثر المستويات خطورة إيذاء الطفل داخل الأسرة سواء بالضرب أو إحداث ضرر جسمانى للطفل مثل الرعاية الصحية، وقد يختلف الإيذاء الجسدى باختلاف الغرض منه، فالأسرة الفقيرة تستخدم العقاب البدنى بمعدلات أكبر من غيرها، وقد يصل هذا العنف إلى تعرض الطفل لإصابات خطيرة لذا يجب أن يكون هناك موقفًا إيجابيًّا وتوعية مستمرة لحث الآباء على الابتعاد عن الضرب فى معاقبة أبنائهم بصرف النظر عن انتمائهم الاجتماعى والاقتصادى، خاصة وأن ما يدفع الثمن غاليًا هو الطفل الذى يقع فريسة لظروف نفسية واجتماعية.... كما يجب توعية الآباء بكيفية التعامل مع أبنائهم فى المراحل العمرية المختلفة حتى يتسنى لهم عبور الكثير من المشكلات التى يتعرض لها الأطفال وبها لا يسمح بانعزال الآباء عن واقع الأبناء واضعين فى الاعتبار الظروف الفردية بين الأطفال فالطفل باختلاف قدراته وإمكاناته

يعتبر ذا قيمة فى حد ذاته وله الحق فى التمتع بحقوق متساوية مع أقرانه سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو مدنية كما من حق الطفل أن يشبع كل احتياجاته مهما كانت ظروف أسرته وبذلك يمكن أن تحمى الأسرة أبناءها من الانحراف أو حتى مصاحبة أصدقاء السوء».

أما الدكتور «مصطفى عويس» أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يرى أن الضرب أحد وسائل التربية والتهذيب ويستدرك: قبل أن نقر إباحتها لا بد أن يدرك الأب والأم أن الضرب المقصود به هو الذى لا يترك آثارًا نفسية أو جسدية فقد جعل الإسلام الضرب وسيلة تأديب للزوجة التى تغضب زوجها ولكن بعد أن يقطعها ثم يهجرها وأخيرًا يضربها دون أن لا يقترب من الوجه ولا يترك أثرًا فى الجسم، وكذلك الأولاد يضربون لتأديبهم وليس لتعقيدهم ويجب ألا يزيد من مكابرتهم وعنادهم.... ومع الأسف فإنهم يمنعون ضرب الأولاد فى المدارس إلى أن أصبح هم يضربون المدرس والأب والأم وصفحات الحوادث فى الصحف تسجل مثل هذه الوقائع، ولا ننكر أنها حالات فردية ولكنها موجودة ولعلاج هذه المشكلة لا بد من الرجوع للدين الإسلامى أى الضرب بحكمة وعقلانية وعقاب الأب يجب أن يكون مناسبًا فالوسائل البديلة للضرب لم تُؤتِ ثمارها بل ازدادوا عقوقًا وإجرامًا، وأنا من أنصار العودة إلى الضرب غير المبرح وغير المؤذى كوسيلة لتربية وتهذيب الأبناء سواء داخل المنزل أو المدرسة مع وضع الضوابط اللازمة حتى لا يؤدى إلى إلحاق الضرر بالأولاد وأعتقد أنه لو لم يضربنا الأهل لفشل تأديبنا ولو لم يضربنا المعلم لما تعلمنا ولم يكن منا الدكتور والمهندس والعالم فهو ليس وسيلة لتنفيس عُقَد الآباء فى أبنائهم، وإنما كل أب يرى ما ينفع أولاده ويحاول تطبيقه معهم لينفعهم فى حاضرهم ومستقبلهم.

ويرى الدكتور «عدلى السمرى» أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس أن الأم هى المدرسة الأولى التى يتربى فيها الأبناء حيث تغرس فيهم القيم والأخلاق النبيلة التى تكون شخصيتهم فهى يقع عليها العبء الأكبر فى التربية فإذا كانت واعية ومدركة لمدى مسئوليتها وتأثيرها على الأجيال القادمة فسوف تتعامل مع أولادها بحكمة وتمسك العصا من النصف بمعنى أن لا تضربهم إلى أن يؤدى الضرب

عقد نفسية لديهم وأن لا تترك الحبل على الغارب كما يقولون فتتسبب بلا قصد فى انحرافهم.

ويضيف الدكتور «السمرى» صاحب الدراسة قائلًا: المرأة العاملة تقع فى خطأ وهو ترك ابنها الصغير مع خادمات أجنبيات تربين الطفل على عادات وثقافات بلادهم فالإشباع العاطفى عند الطفل فى السن المبكر ضرورى جدًّا حيث يتغلب الطفل على العديد من المشكلات وصعوبات الحياة فى المستقبل، إذ منح شعورًا بالدفء والأمان داخل الأسرة ولكن مع الأسف لهث الآباء وراء المادة واهتمامهم بالعمل وانصرافهم عن رعاية أولادهم أحدث نوعًا من التفكك الأسرى ولم يأخذ الأبناء الجرعة الأخلاقية اللازمة التى تحميهم من شرور البيئة الخارجية والمجتمع المحيط بهم، وبذلك أصبح أصدقاء السوء هم البديل عن الأسرة إضافة إلى أن تفرغ الآباء لرعاية أبنائهم ليس هو المطلوب فقط فالثقافة ضرورية جدًّا لتربية الأبناء؛ لأن كل مرحلة سِنّية تحتاج إلى طريقة معينة فى التعامل، ويجب أن يهتم الآباء بقراءة كتب عن التربية لتساعدهم فى تنشئة أبنائهم تنشئة اجتماعية سليمة، وأن يبتعدوا عن الضرب؛ لأن الآباء الذين تعرضوا للضرب فى الصغر ضربوا أبناءهم وهم كبار وكنتيجة لضغوط الحياة والمسئوليات الكثيرة الملقاة على عاتق الوالدين وهو ما يدفع كل منهما إلى الانفجار والتعبير عن غضبهم وعدم صبرهم لاستخدام أساليب بديلة فى معاقبة أبنائهم بدون ضرب وإهانة.

ولهذا أنصح الأبوين باتباع أسلوب عقلانى فى تربية أولادهم بعيدًا عن الضرب والإيذاء النفسى والجسدى وإذا عجزا عن حل مشكلة معينة لأطفالهم فلا يخجلا من اللجوء إلى وحدات الإرشاد الأسرى أو الطبيب النفسى خاصة وأن تربية الأبناء مسئولية مشتركة بين الأب والأم، وقد يكون دور الأب هو الأكبر تأثيرًا بسبب مسئوليته عن الأسرة ككل وهو الذى يضع الأسس التربوية داخل الأسرة والتى تلتزم الأم بتطبيقها.

وأود الإشارة هنا « والكلام للدكتور السمرى» أن الأم ليست هى المسئولة الوحيدة عن انحرافات الشباب كما يتهمها البعض ولكن وسائل الإعلام والفضائيات تؤثر على سلوكهم، خاصة بعد أن انفتح الشباب على الفكر الغربى الذى يفتقد الكثير من عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية وهويتنا العربية التى نتمسك بها، وقد أصيبوا بداء

التقليد الأعمى وقد تفاقمت تلك الظاهرة بعد أن تربى الشباب بعيدًا عن روح الإسلام والقيم الدينية الأصيلة التى تعتبر حصن أمان له من المغريات الخارجية.

وتقول الدكتورة «فايزة على» أخصائية علم النفس بمستشفى أبو الريش: «الثواب والعقاب مطلوب تطبيقه لتربية الأطفال ولكن أى عقاب؟، فالعقاب الذى يؤلم نفسيًّا ويهدر الكرامة مرفوض وقد تختلف كل أسرة عن الأخرى فى طريقة التعامل مع أطفالها حيث يكون الطفل شقى يتحرك كثيرًا ويعبث بمقتنيات المنزل بدون وعى أو إدراك وفى تصوره أنه نوع من اللهو أو جذب الانتباه إليه وقد تتبع بعض الأسر أسلوب الضرب والإهانة، وتكون الشكوى منه دائمًا ولو أدركت الأسرة أن الطفل إن لم يقدم على تلك الأفعال فى هذا السن لأصبح حالة مريضة، ولهذا فيجب عدم توبيخه ومعاقبته كلما صدر منه فعل مرفوض، بل يجب أن أدعم ثقته بنفسه وأظهر له مميزاته بدلًا من عقابه وإهمال السلبيات والبحث عن الإيجابيات وإظهارها له، كما يجب على الأسرة أن تتقبل كل تصرفات طفلها وأن تتحمل شقاوته وتحتضنه، كما يجب أن يعلم الأب أنه مسئول أيضًا عن نفسية طفله فيجب الابتعاد عن معاملة زوجته معاملة سيئة خاصة أمام أطفاله وأن يتجنبوا مناقشة مشكلاتهما الخاصة أمام مرأى ومسمع أبنائهم بل يذكرها دائمًا بأمور الشرع ويعاملها معاملة الإسلام الصحيحة وأن يجعل المودة والرحمة هى السائدة فى حياتهما الزوجية؛ لأن ذلك سيؤثر بطريقة مباشرة على نفسية وتربية الأبناء.

وتضيف الدكتورة فايزة.. «إذا نشأ الأولاد فى حياة بها دفء وحنان انعكس ذلك على سلوكياتهم بدلًا من العقاب النفسى الذى سيؤدى حتمًا إلى موروث نفسى معقد ينتقل من جيل إلى جيل أخر ويصبح مجتمعنا مشوها نفسيا ويصبح الأبناء عبئًا على المجتمع بدلًا من أن يتحملوا مسئولية بنائه.... وأنا من أنصار العقاب ولكن بحكمة أو استخدام العقاب البديل للضرب مثل حرمانه من شىء يحبه مثل مشاهدة التليفزيون أو اللعب أو شراء ما يحبه أو تحقيق رغباته، وفى رأيى أن كل هذا يفوق العقاب البدنى بجانب تطبيق الثواب فغالبية الآباء يتذكرون العقاب ويتناسون الثواب وإن كان فى صورة معنوية أو مادية فسيكون أفضل وسيلة لتربية جيل بأكمله».

وتقول «رشا عاشور» مدرس مساعد تخصص علم نفس بكلية الآداب جامعة

القاهرة: «الأبحاث فى مجال تربية الطفل تؤكد أنه يمكن استخدام العقاب كوسيلة لمنع سلوكيات الأبناء المرفوضة؛ مثل: العدوانية أى أن الأب يكون على حق إذ ضرب طفله ومعاقبته لمنعه من التصرفات الخطيرة مثل اللعب فى أسلاك الكهرباء أو مفاتيح الغاز ونفس الحال يحق للمعلم معاقبة التلميذ الذى يعبث فى المرافق أو أدوات التدريس الخاصة بالمدرسة أو ينتهك نظام الفصل ومن هنا يمكن أن نقول: إن العقاب له شروط منها أن يتم تطبيقه عقب صدور السلوك المرفوض فورًا ولا ينتظر مده حتى يعاقب الطفل عليه، ويكون العقاب مناسب للموقف أى حسب حجم الخطأ ولا بد أن يكون التحذير يسبق الخطأ مثلًا لتحذير من سكب الولد لكوب اللبن وما غير ذلك، وأيضًا لا بد أن يكون العقاب مباشرة إذا تكرر الخطأ، كما يجب معاقبة الطفل من الوالدين وليس واحد فقط حتى لا يشعر بالفارق أو عدم الثقة فى أحد الوالدين أو كلاهما هذا فى حالة ما إذا كان العقاب بدنى، وإن كان يُفضل ما يُسمى بالعقاب السلبى فهو أحسن أنواع العقاب المقبول وهو حرمانه من المثيرات التى يحبها الطفل مثل عزل المخطئ وحيدًا فى غرفة خالية من ألعاب الترفيه ولكن ليست مخيفة حتى لا تسبب له أزمة نفسية، أو مغلقة الأبواب، أو حرمانه من التنزه أو ممارسة بعض الألعاب التى يحبها أو الحرمان المؤقت من المصروف، وكل ذلك بصورة مقننة؛ لأن القاعدة تقول: إن العقاب الشديد فى الصغر يسبب اهتزاز الشخصية فى الكبر، وعدم النضج الانفعالى؛ لذا سينعكس هذا على أسلوبه فى معاملة الآخرين فيعاملهم بعنف شديد.

وتضيف الدكتورة «رشا» أن هناك تأثير آخر للعقاب البدنى على الطفل وهو تكوين ميول واتجاهات سلبية نحو الشخص المعاقب؛ مثل: كراهية الأب أو الأم أو المعلم وتظل هذه الكراهية سببًا يعوق تقدمه دائمًا فى الحياة العملية وتحول دون أن يكون عضوًا مؤثرًا فى المجتمع.

وأخيرًا أكد الدكتور «شعيب الغباشى» أستاذ الإعلام بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر: أن الإسلام وضع نظامًا متكاملًا لتنشئة وتربية الأبناء بما يكفى بتوفير احتياجاتهم ومتطلباتهم فهو فهم رشيد ينبع من حرص الإسلام على العلاقات الأسرية

وأهمية الفرد المسلم فى المجتمع، وقد وضع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة أساسية لتربية لأطفال إذ حدد سبع سنوات للعب وسبع للتعليم والتهذيب وسبع للمصاحبة، ثم اتركوهم، أى أن هناك قواعد أساسية لا بد من أن يمر عليها الطفل:

أولًا: اللعب وهى مرحلة تأسيسه قبل البلوغ حيث منع عنهم الضرب أو الزجر حتى يأخذ الطفل حقه فى التنزه واللعب واللهو، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعب سيدنا الحسين والحسن إذ يعتلى ظهره كلما سجد، ويقول الرسول الكريم: نعم الجمل جملكما، بل إنه صلى الله عليه وسلم كان يطيل السجود حتى لا يؤذى مشاعرهما وذلك ليعلم الأب الرحمة بأطفاله ويؤكد أن تلك المرحلة هى مرحلة لعبهم ولهوهم.

ثانيًا: مرحلة التعليم ويكون فيها أكثر استجابة للفهم والوعى فأكثر العلماء المسلمين حصلوا وحفظوا القرآن فى هذه المرحلة وهى بعد العاشرة وبعد ما تأتى مرحلة المصاحبة وتكون فى سن الخامسة عشرة حيث البلوغ والنضج والرشد ويجب على الآباء استعمال أسلوب آخر إذ يأخذ منه موقف الصديق والخليل وليس موقف الند.

وأخيرًا: تأتى مرحلة التحرر وترك الباب له معتمدين على أنفسهم، ولا يخشى عليه؛ لأن الأب أعطى لكل مرحلة حقها وأى مرحلة لم يأخذ فيها حقه تنعكس عليه بقية المراحل العمرية المختلفة.

فالرجل الذى لم يلعب وهو صغير تنعكس عليه فى شيخوخته ومن هنا الإسلام كان حريصًا على بناء الشخصية الإسلامية شخصية متزنة ليس فيها ضرب ولا كسر ولا إجبار، وقد قال أحد الصالحين: إن الضرب على ظهر اليد يجعل الطفل لا يتعلم حرفة أبدًا تقيه من الفقر؛ لذلك لا يجب ضرب الطفل على ظهر يده أو وجهه .

كيف يستفيد الأطفال من مجلاتهم ؟

ظهرت فى السنوات الأخيرة أكثر من ذى قبل الحاجة الملحة إلى وجود صحف ومجلات ومطبوعات تعنى بالأطفال سعيًا إلى تحقيق الرعاية المتكاملة لهم، وتنشئهم التنشئة الصالحة وتثقفهم بالثقافة الراقية وتزودهم بالأخبار والأفكار الصحيحة، بما يتفق وهذه المرحلة السنية الخطرة، باعتبارها من أكثر مراحل الإنسان تأثرًا وتأثيرًا فى حياة الفرد.

ومن المعلوم سلفًا أن وسائل الإعلام المختلفة، ومنها الصحافة بطبيعة الحال، يمكنها أن تؤدى مجموعة من المهام والوظائف كالأخبار والإعلام، والشرح والتفسير والتوجيه والتحليل والتربية والتعليم والتسلية والتسويق إلى جانب التنشئة الاجتماعية، ولا شك أن صحف الأطفال ومجلاتهم يمكنها بجدارة أن تقوم بهذه الوظائف جميعًا، ومن هنا وجدنا أن المتخصصين فى أدب الطفل وصحافته يذهبون إلى أن صحيفة الطفل يمكن أن تلعب دورًا مهمًّا فى عملية تنشئة الطفل وتثقيفه وتشكيل شخصيته وتحديد معالم هويته، بمستوى لا يقل عن الدور الذى تقوم به الأسرة والتى يقع على عاتقها مسئولية تنشئة الطفل وتربيته وتوسيع دائرة اتصاله ومعارفه بالدرجة الأولى.

وإذا كانت صحف الأطفال يمكنها أن تعلب هذا الدور البارز والمهم فى حياتهم فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: كيف يمكن لأطفالنا أن يستفيدوا أو ينتفعوا من الصحف والمجلات والمطبوعات التى تصدر لهم؟

وقبل أن نقوم بالإجابة عن هذا التساؤل المهم، لا بد أولًا من أن نحدد ماهية تلك الصحف والمجلات الخاصة بالأطفال، ونطرح هنا تعريفًا لها، وبداية لا بد أن نتعرف أنه ليس هناك اتفاق بين المعنيين والباحثين فى مجال صحف الأطفال، على تعريف محدد

لها، وليس المجال هنا يسمح بذكر تلك الرؤى المختلفة ولكنى سأجتهد وسعى فى وضع تعريف لمفهوم صحافة الأطفال التى نعنيها فى هذه الدراسة، وهو: تلك الصحف (جرائد أو مجلات) التى تصدر بشكل دورى ومستمر (يومية – أسبوعية – شهرية) وتحمل مضمونًا يتناسب مع كل مرحلة عمرية للطفل وتخاطب عقليته ووجدانه، وتسعى إلى أن تقدم إليه كل ما يفيده ويجذبه ويلبى رغباته، ويسد حاجاته الفكرية والروحية والعقلية، سواء أكانت هذه الصحيفة خالصة وخاصة للأطفال فقط، أو كانت صفحة أو زاوية فى صحيفة تصدر لكبار وتقوم بتخصيص هذه المساحة التى تحمل مضمونًا وتقدم مادة صحفية تتعلق بالطفل، وذلك ضمن صفحاتها ومضامينها الأخرى.

وبطبيعة الحال، فإن هذا التعريف يجرنا إلى أن نحدد أمام القراء أنواع الصحف والمجلات التى يمكن أن تصدر للطفل وطبعة دوريتها فى عالمنا العربى المعاصر، وهذه الأنواع يمكن أن نقسمها على النحو التالى:

١- الصحيفة اليومية: وهى الصحيفة التى تصدر كل يوم وتتوجه إلى الأطفال وتعنى بمخاطبتهم وتخصص لهم.. وهذه النوعية من الصحف المتخصصة لم تصدر حتى الآن، فى منطقتنا العربية، ولكن الذى يمكن أن يسد مسدها ما تنشره الصحف اليومية للكبار من صفحات أو زوايا ثابتة، تقدم من خلالها ما يهم الأطفال مثل ما تقوم به «الأهرام» وغيرها من الصحف.

٢- الصحف الأسبوعية: وهى تلك الصحيفة التى تصدر للأطفال خصيصًا وبصفة منتظمة كل أسبوع وفى اليوم محدد منه، وهذه النوعية من الصحف هى الأصل والغالب فى مجلات الأطفال، مثل: سمير وماجد وعلاء الدين وباسم وبلبل وغيرها من المحلات.

٣- الصحيفة الشهرية: وهى تلك الصحيفة التى تصدر كل شهر بصورة منتظمة وهذا النوع قليل فى الصحف العربية مثل العربى الصغير.. والحقيقة أن المتابع للإصدارات الصحفية التى تصدر للأطفال قد يجدها متشبعة ومتعددة- ولكن ليست كافية- ومن هنا فيمكننا أن نقدم لأبنائنا مجموعة من أسماء تلك المجلات التى يمكن أن يتابعها الطفل ويحرص على اقتنائها، وتذكر على سبيل

المثال لا الحصر منها: أحمد وبراعم الإيمان وماجد وعلاء الدين وبلبل والعربى الصغير وقطر الندى وباسم، ومجلتى، والصبيان وسعد والمسلم الصغير والفردوس والرواد والأذكياء..إلخ، ولكن كيف يحصل الطفل على الصحيفة، أو بمعنى آخر ما الأماكن التى يمكن للطفل أن يجد فيها الصحيفة التى يحبها؟

لا شك أن المكان الطبيعى الذى يمكن للطفل وغيره أن يجد فيه الصحيفة ويحصل عليها هو بائع الصحف، خاصة هذا البائع الذى يُسمى بـ «مركز التوزيع» أى الذى تصل جميع المطبوعات والإصدارات إليه من كل شركات التوزيع، وبالتالى فقد لا نجد الصحيفة المطلوبة لدى البائع المتجول أو البائع محدود التوزيع.. إذن فباعة الصحف هم يمثلون المصدر الأول لنا فى الحصول على المجلة أو الصحيفة المطلوبة، وذلك بعد أن تدفع له ثمنها المحدد لها سواء قام بشرائها الطفل نفسه أو أحد غيره..

أما المصدر الثانى الذى يمكن للطفل أن يحصل منه على مجلته هو المكتبات العامة، فالأصل فى هذه المكتبات الخاصة بالطفل أن تشترك فى أغلب المجلات التى تصدر للأطفال، فإذا كان الطفل من المترددين على تلك المكتبات فلسوف يطلع عليها ويقرأها، ويستفيد منها، هو وغيره من الأطفال الذين يترددون أيضًا على تلك المكتبات..

والمصدر الثالث: الذى يمكن للطفل أن يحصل على مجلته منه ويقرأها لديه «مكتبة المدرسة» ولذا فإن من الواجب على المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية أن تقوم بشراء المجلات التى تخاطب الطفل وتقدمها له، وأن يقوم بالإشراف على هذا كله أمين المكتبة.

والمصدر الرابع: الذى يمكن للطفل أن يحصل منه أو يقف فيه على مجلات الأطفال هو دور العبادة.. المسجد، فالمفروض أن يقوم المسجد بدور تثقيفى وتربوى وترفيهى للأطفال، وذلك من خلال توفير مجلات الأطفال لهم، بشرائها أو الاشتراك فيها أو إيجاد البديل المؤقت عنها مثل صحف الحائط.

والمصدر الخامس: هو الأندية التى تشترك فيها الأطفال فبجانب اهتمام الأندية باللعب والرياضة وكل ما يقوى ويضمن الجسم ينبغى عليها أن تهتم بكل ما ينمى ويقوى ثقافة الطفل وعقله وفكره ومشاعره ووجدانه، ولا شك أن من أفيد وأفضل الوسائل فى هذا الصدد هو صحافة الأطفال ومجلاتهم..

أما المصدر السادس والأخير الذى يمكن للطفل أن يحصل من خلاله على صحيفة أو مجلة للأطفال هم الأطفال أنفسهم وذلك عن طريق الاستعارة أو تبادل المجلات فيما بينهم.

والآن تعالوا نجيب عن السؤال الذى طرحناه فى البداية وهو: كيف يمكن للطفل أن يستفيد من صحيفته أو مجلته؟

نقول: إن الاستفادة يمكن أن تكون على شكلين:

الأول-الاستفادة المباشرة: ونعنى بها أن يقوم الطفل بنفسه بقراءة الصحيفة والاطلاع عليها والاستفادة منها مباشرة، فالطفل حينئذ فى مرحلة عمرية تتيح له أن يقرأ وأن يستوعب ولا شك أن هذه الطريقة أفضل كثيرًا للطفل؛ لأن عملية القراءة فضلًا عن كونها متعة ومهارة، فهى تساعد الطفل كثيرًا على النمو العقلى والفكرى والوجدانى، وفيما يلى بعض المقترحات التى يمكن أن تساعد أو تشجع الأطفال على القراءة وهى كالتالى:

١- لا ترغم الأطفال على القراءة فالمفروض أنهم يتمتعون بها من تلقاء أنفسهم وعن طريق التشجيع والتحفيز لا الإرغام والتضييق.

٢- لا بد من توفير أكثر من مطبوعة ومجلة تكون معدة وصالحة للقراءة.

٣- كن قدوة حسنة للأطفال بأن تقرأ بانتظام أمامهم فالطفل مغرم بالتقليد:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه

وتشير إحدى المتخصصات فى مجال صحافة الأطفال إلى أن الطفل يبدأ فى تذوق اللغة وآدابها بروح جدية، عندما يستطيع هذا الطفل أن يقرأ بنفسه قصصًا تُثير خياله، وتتضمن أفكارًا جذابة عن عوالم جديدة غريبة عليه، ويتيسر له ذلك ابتداء من العاشرة، والأمر يتوقف على قدراته وتحصليه فى المدرسة، وكلما تمكن من القراءة بسرعة استمتع بتذوق اللغة، وفى سن الثانية عشرة تقريبًا ينتقل الأطفال من مرحلة الحكايات الخيالية إلى مرحلة القصص التى هى أقرب إلى الواقع، ويبدأ اهتمامهم باقتناء الكتب والمجلات والاشتراك والاستعارة من المكتبات العامة.. وتضيف.. أن الطفل فى بداية مرحلة التعليم الإعدادى، يكون قد اكتسب سهولة فى التعبير، ودقة فى

استعمال اللفظ ويكون قاموسه اللغوى قد وصل إلى مرتبة أعلى.. ولا شك أن أنسب مراحل الحياة لنمو التذوق اللغوى وهى المرحلة التى تبدأ من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة أو ما بعدها، تكون حاجة ماسة إلى نوع من الغذاء العقلى، وهذا يجده الطفل فى الأدب، قصائد شعرية، قصص نثرية.. إلخ

الثانى: الاستفادة غير المباشرة، ونعنى بها أن يقوم أحد الكبار القارئين (الأب – الأم – الأخ.. إلخ) بقراءة الصحيفة ويُسمعها للطفل وبالتالى فإن الطفل فى هذه الحالة لا يقرأ صحيفته بنفسه أو بشكل مباشر وإنما يقرأها بطريق غير مباشر، وقد يكون ذلك راجع إلى عدم قدرة الطفل على القراءة، وفى هذه الحالة ينبغى ألا يستمرئ الطفل هذه الصورة بل عليه أن يحاول مرة ومرة أن يقرأ الصحيفة بنفسه أو بمعاونة ومساعدة أحد القارئين، حتى يجيد عملية القراءة منفردًا وبذلك تكون الصحيفة قد أدت مهمة ليست قليلة لهذا الطفل، وقد يرجع عدم قدرة الطفل على قراءة الصحيفة إلى صغر سنه وعدم أو ندرة وجود صحيفة تناسبه من هذا النوع من صحف الأطفال التى تصدر لمن دون السادسة، ويحاول الآباء أن يعودوا أبناءهم على الاطلاع أو الاهتمام بمجلات وصحف الأطفال.. وهذا أمر لا بأس به إن وقف عند هذا الحد من غير أن نفرض على الطفل أفكارًا وآراء ومعلومات أكبر من عمره أو لا تتناسب مع مرحلته العمرية..

وأخيرًا، يمكننا أن نحمل مجموعة من الفوائد يمكن أن يستفيد بها الطفل من الصحف والمجلات والمطبوعات التى يقتنيها ويقرأها على النحو التالى:

١- الاستفادة من صحف الأطفال فى تنمية مهارات الأطفال القرائية والمعرفية.

٢- الاستفادة من صحف الأطفال فى إكساب الطفل العربى لغة أجنبية، كما يحدث فى مجلتى «الرواد» التى تنشر صفحتين لتعليم الإنجليزية..

٣- الترفيه عن الأطفال وإمتاعهم وتسليتهم وذلك من خلال متابعتهم وقراءتهم للمواد الصحفية الفكاهية مثل نوادر جحا وغيره كما تفعل مجلة ماجد وعلاء الدين وغيرهما..

٤- تنمية مهارات الأطفال الفنية والإبداعية من خلال لفت أنظارهم إلى الصفحات المرسومة التى تنشرها الصحيفة.. كما هو واضح فى مجلة علاء الدين وماجد وغيرهما من مجلات الأطفال العربية.

٥- تعويد الأطفال على الإيجابية وترك السلبية وذلك من خلال تشجيعهم على مراسلة صحف ومجلات الأطفال وإرسال ما يمكن نشره من آراء ومقترحات.. فالصحف جميعًا بها أبواب ثابتة لبريد القراء ومساهمتهم وخاصة مجلات الأطفال فإنها تخصص أبوابًا ثابتة يحررها الأطفال بأقلامهم، بل إن مجلتا ماجد والرواد تنشران أعمالًا صحفية يقوم بها الأطفال وتعتبر المجلة هؤلاء مراسلين لها وتبعث إليهم «كارنيه» المجلة بعد أن يرسل القارئ « الطفل» صورته ويبدى استعداده للقيام بهذا العمل.

٦- غرس قيمة النظر والبحث والسؤال العلمى وذلك من خلال تشجيع الطفل على الاشتراك فى المسابقات التى تنشرها تلك المجلات.

٧- التعرف على المؤسسات والهيئات والنوادى التى تعلن عنها هذه الصحف، ودفع الأطفال إلى الاشتراك فيها والتعرف عليها.. كما يحدث مثلا فى صحيفة الأهرام «نادى علوم الأهرام».

٨- تعويد الأطفال على حب الخير وتبادل المنافع، والتقارب النفسى والعاطفى من خلال تشجيعهم على تبادل الصحف والمجلات فيما بينهم على سبيل الإعارة.

٩- تشجيع الأطفال على حفظ الشعر الذى تنشره هذه المجلات وتدريبهم على إلقائه فإن ذلك من شأنه أن يقوى ذاكرة الطفل وشخصيته ويعينه على إجادة الخطاب وفصل الكلام.

١٠-حث الأطفال على تخليص ما يقرءونه من مقالات وقصص وحكايات بعد قراءتها حتى يتعودوا على ممارسة الكتابة وتنمية قدراتهم الكتابية والإبداعية.

الإعلام والأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة

الأطفال هبة من الله تعالى، فإذا أصيب أحدهم بمصيبة أو ابتلى ببلية، كأن يفقد عضوًا من أعضائه، أو يمرض مرضًا مقعدًا، أو يُصاب بشلل يفقده الحركة، فما على أسرته إلا أن يصبروا ويحتسبوا، ثم يقوموا بواجبهم تجاه هذا الطفل من حسن الرعاية ودقة المتابعة وجودة التوجيه، وصدق القائل:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

ومما لاشك فيه أن هذا الطفل المبتلى له حقوق ينبغى أن توفر له، كاملة غير منقوصة، وعلى أهله ومؤسسات المجتمع المدنى والحكومات التى ينتمى إليها واجبات ينبغى أن تراعى فلا تهمل، لأننا إذا أهملنا فى حق هؤلاء نكون بذلك قد قصرنا فى واجب قومى ودينى على حد سواء، فالله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه، حافظ أم ضَيع.

و المؤسسات الإعلامية، من أهم المؤسسات التى يقع على عاتقها مسئولية أكبر تجاه الأطفال أصحاب الابتلاءات والذين اتفق على تسميتهم بالأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، ويمكنها أن تؤدى أدوارًا مهمة، نحو هؤلاء الأطفال، بما تملكه من آليات تغيير وأساليب تأثير ووسائل توجيه مختلفة ومتعددة.

إن وسائل الإعلام المعاصرة يمكن أن تلعب دورًا رئيسًا تجاه هذه الفئة من البشر والتى هى أحوج ما تكون إلى من يعتنى بها، ويمد يد العون إليها لشدة حاجتهم وافتقارهم إلى من يساندهم، ومن له أن يتصدى لهذه المهمة القومية والإنسانية الكبرى غير الإعلام بما له من تأثير وإمكانات هائلة ابتداء من الكلمة المطبوعة وانتهاءً بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ومرورًا بالإذاعة والتليفزيون فضلًا عن الكاسيت والفيديو وغيرها من الوسائل والوسائط الاتصالية الأخرى.

ولكننا إذا قمنا أولًا بعملية تقييم لأداء هذه الوسائل الإعلامية وما تقوم به من واجبات وما تؤديه من وظائف فإننا نجدها تركز على فئات مجتمعية بعينها وتغفل بل وتهمش فئات أخرى، وهذا لون من ألوان الوهن الأدائى القائم على انتقاء الجمهور المستهدف على غير أساس منطقى أو دوافع مبررة مما يوقع الإعلام فى حرج وضعف وفقدان للتوازن فى أدائه وتناوله.

ومن بين الفئات المهمشة إعلاميًّا فئة الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، فلا تكاد تراهم عبر وسائل الإعلام ، وإن حدث فإنهم، يظهرون بصورة سلبية ومشوهة تقزز الجمهور منهم وتدفعه إلى عدم الاكتراث بهم وليس أدل على ذلك مما تم تقديمه فى أحد الأعمال الفنية الذى عرض قصة شاب كفيف غير مستقيم الأخلاق وغير منضبط السلوك وغير ملتزم فى تصرفاته بل ويمارس الفاحشة ويقترف ما يتناقض مع ما يتظاهر به من تمسك بالدين أو كونه عل دراية بالعلم الشرعى ! ومن ثم يقع على عاتق وسائل الإعلام إبراز الواقع الذى يعيشه هؤلاء المبتلون بصورته الحقيقية من غير تزييف أو عبث أو تضليل.

وعلى الجانب الآخر فإن هؤلاء الأطفال فى سنوات عمرهم المختلفة، لهم احتياجاتهم النفسية والروحية والإعلامية والفنية والتربوية وعلى وسائل الإعلام أن تلبى هذه الاحتياجات وأن تحققها، بمعنى أن تقدم لهم أعمالًا خاصة بهم ولهم، ومترجمة بلغة الإشارة للصم والبكم وأن تهتم تلك الأعمال الفنية والدرامية المختلفة بالمؤثرات الصوتية للمكفوفين وعلى وسائل الإعلام أن تعمم خدمة الترجمة فى كل المسلسلات والأفلام والبرامج الترفيهية والأعمال الغنائية حتى تحقق هدف التواصل مع هذه الشريحة المهمة فى المجتمع.

ويؤكد خبراء الإعلام وعلم النفس على أننا إذا اعتبرنا أن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة لديهم مشكلة أو يمثلون مشكلة لغيرهم فينبغى أن تولى الدولة عنايتها بدراسة هذه المشكلة وتقديم الحلول التى تساعد أسر هؤلاء الأطفال على التعامل معهم بالطرق السليمة والأساليب الصحيحة.

ومن هنا فإن على الإعلام أن يوجه الدول إلى أن تقيم المراكز التأهيلية والتربوية والترفيهية التى تأمن فيها الأسرة على أبنائها وتُقدم فيها خدمات حقيقية لهؤلاء

الأطفال بحيث لا يقتصر الأمر على الرعاية والاهتمام فقط من المأكل والمشرب وإنما ينبغى أن تمتد مسألة الرعاية والاهتمام هذه إلى الناحية الطبية والنفسية والتعليمية، وإعداد هؤلاء الأطفال وتدريبهم كى تنمو القدرات الخاصة لديهم، بحيث يتعلمون مهارات وخبرات تمكنهم من إعالة أنفسهم، وإن اعتمدوا على غيرهم كالاعتماد على الدولة أو المجتمع فيكون ذلك فى أضيق الحدود.

ومن ثم فإن أجهزة الإعلام ينبغى أن تقدم هؤلاء الأطفال بصورتهم الحقيقة، على اعتبار أنهم جزء لا يتجزأ من كيان المجتمع وأن تقوم بدور التوعية المستمرة التى تعتمد على النظرية والتطبيق وتبدأ هذه التوعية داخل الأسرة بدءًا من الأم وتدريبها على كيفية التعامل السوى مع ابنها المعاق وألا تحرج منه وألا تفرق فى المعاملة بين السليم والآخر المعاق، بل الواجب عليها أن تحيط الطفل المعاق بمزيد من العطف والرعاية والحنان.

كذلك يقع على عاتق الإعلام مسئولية تنمية قدرات هؤلاء الأطفال ودفعهم نحو التعلم حتى لا يقعوا فى براثن الجهل والأمية، وعلى الإعلام أيضًا أن يشجع المجتمع وينبهه إلى ضرورة تقبل الأطفال المعاقين وتبنى سياسة الدمج بينهم وبين غيرهم من الأطفال الأسوياء فى النوادى والمدارس وأماكن الترفيه وغيرها.

ويرى أستاذ الصحة النفسية «أشرف محمد عبد القادر»، أنه لكى يقوم الإعلام المعاصر بمسئولياته تجاه الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، ينبغى عليه أن يعمل بالتوصيات التالية:

١ - وضع خطة إعلامية تصاحبها حملة مدروسة وواعية ومستمرة قائمة على البساطة لتعريف المجتمع بمشكلة الأطفال المعاقين وطرق الوقاية منها، وأن تكون هذه الحملة نواة لإنشاء إذاعة وقناة تلفزيونية خاصة بالأطفال المعاقين.

٢ - التأكيد على أن يكون الإعلام عن الأطفال المعاقين جزءًا من سياسة الإعلام العامة وتشجيع إصدار المجلات والدوريات والنشرات المتخصصة فى هذا السياق وإنتاج البرامج الإذاعية والتليفزيونية عن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.

٣ - عـرض مـواد إعلاميـة تثقيفيـة لأسر الأطفـال ذوى الاحتياجـات الخاصـة لتبصيرهم بمشكلات هؤلاء الأطفـال وكيفيـة التعامـل معهـم والمساعدة فى حلها.

٤ - ضرورة التزام وسائل الإعلام بتقديم صورة صحيحة وإيجابيـة عـن الأطفـال المعاقين وإقناعهم بأنهم أعضاء نافعين، ينتظر المجتمع عطاءهم، حتى يـستعيد المعاق ثقته بنفسه.

وقد أوصت ورقة علمية بعنوان: «صحافة المعاقين بدول الخليـج العربـى» دراسـة تحليلية «لمحمد عبد الرحمن السيد» عرضها ضمن أعمال الملتقى الخليجى السابع الـذى عقد بالمنامة تحت عنـوان : «الإعـلام والإعاقـة ، علاقـة تفاعليـة ومـسئولية متبادلـة» عرضتها مجلة الإرادة فى عددها الثالث ويمكن تلخيص تلـك التوصـيات لأهميتهـا فى النقاط التالية: -

١ - تخصيص مواقع على شبكة الإنترنت للمعاقين عامة ولأسرهم خاصـة بهـدف التواصل والانتشار الكامل وضرورة الإيعـاز للمؤسـسات العامـة بـضرورة الاهتمام بالمجال الإعلامى فى هذه الصدد.

٢ - ضرورة استحداث برامج تعليمية إعلامية تربوية متخصصة تخدم كل المراحل التعليمية بهدف نشر مفهوم الإعاقة لدى الطلاب والطالبات.

٣ - تحديد الأهداف الإعلامية المطلوبة بدقة وتقسيمها مرحليًّا وزمنيًّا بحيث يشعر النـاس بـأن هنـاك مـشكلة مرتبطـة ارتباطًـا وثيقًـا بحيـاتهم وحيـاة أبنـائهم وسلامتهم وسلامة المجتمع وأمنه .

٤ - اختيار أفضل وسائل وأشكال الاتصال والإعلام الملائمة لكل فئة مـن فئـات الجمهور المستهدف وإعداد المضامين التى ستقدم من خلال وسـائل الإعـلام المختلفة .

٥ - القيام بدراسات تحليلية مستمرة لكل ما تقدمه وسائل الإعلام ومتعلقة بقضايا الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.

وتأسيسًا على ذلك: فإن وسائل الإعلام المختلفة والمتعددة فى أمتنا العربية والإسلامية يمكنها أن تتحمل هذه المسئوليات الكبيرة لخدمة المعاقين من الأطفال، وحينئذ سيكون الإعلام قد أدى خدمة جليلة لأبناء الأمة واضطلع بمسئولياته الجسام وصار أداة بناء وإصلاح، لا أداة هدم وإفساد، وهذه الأدوار الإيجابية التى يقوم بها الإعلام العربى والإسلامى، هى ما تأمله وتنتظره الأمة من المحيط إلى الخليج، من إعلامها الوطنى.

الإعلام وترسيخ ثقافة البر بالوالدين

لا يختلف اثنان على أن الإعلام فى مجتمعاتنا المعاصرة له تأثير طاغ على الأفراد والجماعات وكذلك الهيئات والحكومات، سواء أكان هذا التأثير بالسلب أم بالإيجاب، ومعلوم أن تأثير الإعلام يأتى نتيجة طبيعية للأهداف التى وضعت له، فإن كانت الأهداف المرصودة للإعلام بنائية وتنموية أسهم الإعلام فى عملية البناء والتنمية إسهامًا فاعلًا، وأما إذا كانت الأهداف التى وضعت للإعلام هدمية وتخريبية، فإنه كذلك يؤثر تأثيرًا كبيرًا من هذا النوع الهدمى والتخريبى، فى المجتمع التى توظف فيه وسائل الإعلام على هذا النحو!

ويبقى الإعلام بوسائله المختلفة سلاح ذو حدين، حد يبنى وآخر يهدم وحد يصلح وآخر يفسد، وحد يعلم وآخر يُخرب، وهلما جر، وإذا كان الإعلام فى مفهومه الصحيح هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا تعبيرًا موضوعيًّا عن عقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم، وعليه فإنه لا يمكن إطلاق إعلام على ما ينشر أو يذاع أو يعرض من أخبار وبرامج وتعليقات وتحليلات ورموز إلا إذا تحقق ركن إحاطة الجماهير علما بما يجرى، فغاية الإعلام هى المعرفة المجردة المؤدية إلى اليقظة والنمو والتكيف الحضارى.

ويرى «ولبور شرام» أن الإعلام الذى يتزايد تداوله هو الذى يقوم بإحداث التغيير فى المجتمع، وهو الذى يهيئ المناخ لوحدة الأمة فيجعل كل إقليم ملما بشئون الأقاليم الأخرى أناسه وفنونه، وعاداته وسياساته ويجعل القادة الوطنيين يحدثون الشعب، كما يجعل الشعب يحدث قادته، كما يحدث نفسه، ويجعل الحوار فيما يتعلق بسياسة الدولة ميسورًا على نطاق الوطن كله، ويجعل الأهداف والمنجزات الوطنية ماثلة دائمًا فى أذهان العامة.

ويستطيع الإعلام العصرى إذن أن يساعد على توثيق عرى البلاد بجماعاتها المتباعدة وثقافاتها الفرعية المتباينة، وأفرادها وجماعاتها المنطوية على نفسها، كما تستطيع وسائل الإعلام أن تقدم مساهمة كبيرة فى التنمية الوطنية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك إذا أحسن استخدامها وتم توظيفها بشكل صحيح.

ومن ثم فإن الإعلام بوسائله المختلفة، يمكن أن يؤدى أدوارًا مختلفة ومؤثرة فى كافة مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء لما له من تأثير وجاذبية وبما يشتمل عليه من مضامين ومحتويات تخلب العقول وتأسر القلوب وبما يصاحبه من مؤشرات صوتية، وصور وألوان تجذب الألباب وحركات تسحر النفوس، وإلى غير ذلك من عوامل الجذب والإثارة التى تمتلكها وسائل الإعلام على مستوى الشكل أو المضمون.

ولهذا كله فإن أية خطة تنموية فى أى مجتمع من المجتمعات لا يعتمد فى تفعيلها ونشرها والدعوة إليها على وسائل الإعلام لا يمكن بحال من الأحوال أن يكتب لها بلوغ الأهداف التى وضعت لها بشكل تام وليس ذلك لسبب إلا لأن الإعلام أصبح يعول عليه كثيرًا فى جميع خطط التنمية فى كافة بلاد العالم المتقدم بل وفى بلاد العالم أجمع وعلى حد سواء.

وإذا كان الإعلام فى واقعنا المعاصر له كل هذا التأثير فكيف نوظفه فى إصلاح مساراتنا ؟ وكيف نفعله فى تغيير واقعنا ؟ وكيف نستفيد منه فى تحسين وتطوير أوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟ وكيف نعتمد عليه فى تنشيط وتنفيذ برامجنا وخططنا المختلفة.

إن الأمة اليوم تقف على مفترق طرق وإن لم تحسن استخدام وتوظيف كافة إمكاناتها فلسوف تظل ترصف فى قيود التأخر والانحطاط، وإن الصحوة المباركة التى تشهدها الأمة اليوم على جميع الأصعدة والمستويات لتستأهل من كل الغيورين أن يجتهدوا فى ترشيدها وتوجيهها نحو الكمال والنضوج حتى تعود لها مكانتها اللائقة بها كخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم الصلاة وتحقق معنى العبودية الحقة لرب العالمين.

ولا شك أن من أبلغ مظاهر الصحوة فى بلاد العرب والمسلمين اليوم المناداة

الصادقة بالعودة إلى أحكام القرآن الكريم أخلاقًا وآدابًا وسلوكًا ومعاملات وقيمًا وتشريعات، وأن من أرفع القيم وأعلاها فى القرآن الكريم بعد إقامة العبودية الحقة لله تعالى فى دنيا الناس هى البر بالوالدين والإحسان إليهما مصداقًا لقول الحق جل وعلا فى محكم التنزيل: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام هو: ما الدور الذى يمكن للإعلام أن يؤديه فى مجتمعاتنا لترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما كما وصى رب العالمين بذلك فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال الجوهرى والمحورى والمهم فى هذه الورقة نقول:

لا بد للإعلام كى ينجح فى أداء هذه المهمة العظيمة من تخطيط علمى إعلامى سليم يرصد الأهداف المنشودة أولًا، وثانيًا يضع الوسائل المناسبة لتحقيق تلك الأهداف، فى الفترة والزمن الملائم لتنفيذ وتفعيل هذه الخطة.

وأقول هنا لا بد من خطة لإنجاح هذا العمل؛ لأن أساس النجاح فى الأعمال كلها هو التخطيط السليم، المبنى والقائم على أساس من المعلومات الصحيحة المتوفرة لدى المخططين، ويضع علماء التخطيط مراحل لتنفيذ الخطط ويقسمونها إلى خطط قريبة المدى وخطط متوسطة المدى وخطط بعيدة المدى، فإذا ما وضعنا الخطط القائمة على رصد الأهداف وتحديد الوسائل والآليات لتفعيلها وأعطينا هذه الخطط الوقت الكافى والمناسب لتنفيذها، وأحسنا اختيار العاملين على تنفيذ هذه الخطط بحيث يكونون من أهل الاختصاص والحرفة فى الفن والحرفة التى يؤدونها، بالإضافة إلى ذلك لا بد أن يتوفر شرط آخر إلى جانب شرط الحرفية فى العاملين على تنفيذ هذه الخطط وهو أن يكونوا من المؤمنين بأهداف الخطة والمحافظين عليها والعاملين بها، حتى يتوفر فيهم المصداقية التى هى شرط أساسى من نجاح أى عمل وأى مخطط.

ولهذا إذا أردنا أن ينجح إعلامنا فى نشر ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما وترسيخ هذه الثقافة بين أبناء المجتمع جميعًا فلا بد من خطة وإستراتيجية يتبناها الإعلام القومى بكل وسائله التقليدية والإلكترونية القديمة منها والحديثة على حد سواء .

إننا إن فعلنا ذلك وفعلناه بالشكل الصحيح ولم نستعجل جنى الثمار قبل نضجها، فلسوف نحقق فى هذا المجال نتائج مذهلة، تجعل العالم بأسره ينظر إلى تجربتنا فى ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما بإعجاب واحترام، بل واقتداء.

إننا لدينا إمكانات هائلة يمكن توظيفها وتفعيلها فى هذا الصدد، ولا شك أن الأعمال الدرامية التى تقدمها السينما ويعرضها التلفاز، من أفلام ومسلسلات إذا كتبت بشكل هادف يسعى إلى ترسيخ هذه القيمة وبروز مكانتها وقيمتها من خلال الأعمال الفنية التى تقدم سوف يكون له أكبر الأثر لدى المشاهدين والمتابعين؛ لأنه قد ثبت علميًّا مدى تأثير الأعمال الدرامية فى سلوك الجماهير وتصرفاتهم، وخاصة إذا كتبت بشكل متقن وقدمت بشكل فيه مصداقية فى الأداء من غير افتعال أو أداء روتينى.

وليس من الضرورى بطبيعة الحال أن يقدم عملًا كاملًا لكى يكرس قيمة البر بالوالدين والإحسان إليهما، ولكن يكفى أن يكون العمل يشتمل فى جوانبه المختلفة على ما يرسخ هذه القيمة لا ما يعارضها وينهض بها لا يهضمها.

ومن ثم يمكن لكتاب الأعمال الدرامية التركيز على الحالات الإيجابية وإبرازها من أجل حث الناس على تمثلها والاقتداء بها، مع إظهار سلبيات عدم البر وعواقبها الوخيمة، من أجل التنفير منها، والابتعاد عنها، ولا يقف دور الإعلام المرئى فى هذا الصدد عند حد الأعمال الدرامية ولكن يستطيع التليفزيون أيضًا أن يُقدم العديد من البرامج والمنوعات التى تصب بشكل مباشر أو غير مباشر فى خدمة هذه القضية مثل البرامج الحوارية التى تشتمل على تقديم النماذج المثالية فى هذا الإطار والبرامج الدينية التى يتحدث فيها العلماء والدعاة لبيان الحكم الشرعى فى هذه المسألة والترغيب فى حسن القيام بها والترهيب من مغبة الإساءة إلى الوالدين فى الدنيا والآخرة، وكذا المسابقات، وغيرها من الأشكال والقوالب الفنية التى يمكن أن تسهم فى هذا الصدد.

وكذا يمكن للإذاعة أيضًا أن تقوم بالدور نفسه الذى يقوم به جهاز التليفزيون وأكثر؛ وذلك لأن للراديو جمهوره الخاص به ومناطق نفوذه وتأثيره وله كذلك سماته وخصائصه التى ينفرد بها عن غيره من وسائل الإعلام الأخرى، ولا يقل دور الإعلام المقروء عن الإعلام المسموع أو المرئى بل إن الصحافة سواء أكانت ورقية أم إلكترونية

لها جمهورها ومتابعوها والمهتمون بها وخاصة من طبقة المتعلمين والمثقفين وتستطيع الصحافة الاستقصائية أن تنزل الميدان وتنقل مشاهد من الواقع الحسى الملموس من صور البر بالوالدين والإحسان إليهما والدالة على مدى حبهما وتقديرهما بل ورغبة العيش فى كنفهما والتبرك بالقرب منهما وطلب دعائهما.

إن للإعلام دورًا كبيرًا فى هذا الميدان ولا يمكن لجهودنا مهما بلغت أن تحقق المأمول لها ما لم ننجح فى توظيف وسائل الإعلام المختلفة، أفضل توظيف لخدمة هذه القضية، فسلاح الإعلام سلاح لا يمكن أن يغفل أو يستهان به فى التغيير والتأثير.

إن الإعلام بما يمتلكه من أساليب مؤثرة وفنون خلابة وجذابة يستطيع أن يحقق فى مجال ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما ما لم تستطع أن تحققه كتائب عديدة من الدعاة والعلماء، وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن جهود هؤلاء العلماء والدعاة لا يمكن أن تصل إلى أعداد غفيرة من جماهير الأمة إلا من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة.

ومن هنا، فلكى ينجح الإعلام فى رسالته تلك، فعليه أن يفعل كافة الأساليب والفنون الإعلامية بدءًا من الخبر وانتهاءً بمقالات الرأى والأعمدة الصحفية ومرورًا بالحوارات والتحقيقات والتقارير والصور الإخبارية التى يمكنها أن تلعب دورًا اجتماعيًّا مهمًّا إلى جانب الخبر الصحفى الذى يقع على عاتقه مسئولية اجتماعية بالإضافة إلى الجانب الإخبارى والمعلوماتى الذى يقدمه للجمهور وإذا كان لنا أن نركز فى الختام على بعض الوصايا التى يفضل الالتفات إليها والعمل بها فى هذا الصدد فإنها تتمثل فى النقاط التالية:

١- عدم الاقتصار فى أساليب تناول القضية على أشكال الاتصال التقليدية كالخطبة والحديث المباشر والاتصال الشخصى مع أهمية تلك الأشكال بل ينبغى أن يتعدى اهتمامنا ذلك إلى تفعيل كافة وسائل الاتصال الجماهيرى.

٢- لا بد أن ننبه هنا إلى دور التربية الأسرية والمدرسية والمسجدية فى ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما فيتعود الطفل منذ نعومة أظفاره على حب الوالدين والود لهما، فمن شب على شىء شاب عليه.

٣- حث الآباء على الإحسان إلى الوالدين حال حياتهما وذلك أمام أبنائهم حتى يروا البر بالوالدين واقعًا مُعاشًا لا حديثًا مسموعًا غير ملموس أو معايش.

٤- حث الآباء على حسن تربية أبنائهم والإحسان إليهم وعدم عقوقهم صغارًا حتى لا يقعوا فى الخطأ نفسه كبارًا وأذكر هنا كلمة سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه للرجل الذى جاءه يشكو عقوق ولده له، فلما تبين للخليفة عمر أن الرجل سبق وأن أساء إلى ولده فقال له: «لقد عققت ولدك قبل أن يعقك» وهى كلمة وحكمة عبقرية عمرية فللنتبه إليها.

٥- ينبغى أن ننتبه إلى أننا لا بد وأن نبنى من حيث سلبنا، بمعنى أننا ينبغى علينا أن نتعرف على مواقع الخلل ومن أين جاء السلب والتراجع القيمى فى حياتنا ونبدأ البناء والتأسيس من المجال الذى سلبنا منه، قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٦- يجب أثناء حملتنا لترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما أن نرفع شعار، اعمل ما شئت فكما تدين تدان ، ونحسن توظيف هذا الشعار حتى يكون له أفضل الأثر فى واقعنا الحياتى والمعيشى.

٧- لا بد من التركيز على أن الإحسان بالوالدين والبر بهما فضلًا عن كونه فريضة شرعية أمرنا الله بها فهو واجب إنسانى وقومى.

وأخيرًا وليس آخرًا ينبغى ونحن نتناول قضية البر بالوالدين إعلاميًّا أن نربطها برباط الإيمان؛ لأن الأخلاق والقيم إذا كانت مرتبطة برباط إيمانى وعقدى آتت أكلها كل حين بإذن ربها، ولأمر ما نرى أن الله سبحانه وتعالى دائمًا ما يُقدِّم التذكير بالإيمان قبل أن يأمر بأمر أو ينهى عن أو يرشد إلى خلق كقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾.

وأيضًا ينبغى أن نفعل كافة المؤسسات والهيئات فى المجتمع المدنى كى تؤدى دورها فى مجال ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما ، فلو أن كل فرد وكل جهة حكومية أو أهلية أدوا دورهم فى هذا الصدد، لحققنا نجاحات ملموسة وأدينا رسالتنا خير ما يكون الأداء.

هوامش ومراجع الفصل الرابع

١) نورة بنت عبد الله بن عدوان، صورة المرأة المسلمة فى الإعلام الغربى، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٣م.
http://www.lahaonline.com/index

٢) جابر عصفور، صورة المرأة العربية فى وسائل الإعلام العربية، ٢١/ ٦/ ٢٠٠٧م.
http://wwwl.islammemo.cc/articlel.aspx?

٣) آمنة نصير، تصريحات وزير الثقافة حول الحجاب تفجر أزمة فى مصر، أخبار الخليج، ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦م.
http://www.akhbar-alkhaleej.com/home.asp

٤) يحيى هاشم حسن فرغل، حجاب وزير الثقافة وخطر التفسير التطويرى للشريعة الإسلامية، الشعب، ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦م. http://www.alayam.com

٥) حسن صبرا، أيها المسلمون: لو أراد الله فرض غطاء الرأس لفعل، روزا اليوسف.
http://rosaelyosef.blogspot.com/

٦) يحيى هاشم حسن فرغل، البابا والوزير والحجاب، دماء حول الذاتية الإسلامية، الشعب، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

٧) زنيفى باريل، الحرب على الحجاب والأزمة السياسية فى تونس، أخبار الخليج، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

٨) إسحاق الشيخ، تونس الخضراء وظلام الحجاب، الأيام، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

٩) ناصر يحيى، انتصار الحجاب فى مواجهة الجنون العلمانى، الصحوة، ٦/ ١٢/ ٢٠٠٦م.
http://www.alsahwa-yemen.net

١٠) محمد حسين فضل الله، مسألة الحجاب الإسلامى بين الشرع والقانون، الحياة، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

١١) مسعود صبرى، بيان المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث، ارتداء الحجاب أمر تعبدى وواجب شرعى، الأمان، ٨/ ٢/ ٢٠٠٧م.
http://www.al-aman.com/subpage.asp?cid=4004